العرب
الجمعة 2019/11/01
السنة 42 العدد 11515

التودد والاستعداء سياسة إخوان ليبيا لاستمالة روسيا

تمثيل الحكومة المؤقتة في قمة سوتشي رد روسي على استفزازات الإسلاميين المتكررة

يتسم موقف إخوان ليبيا من روسيا بالازدواج والتناقض، فهم من جهة يحتكمون إلى موقف تاريخي معاد لها ومن جهة أخرى يسعون إلى استرضائها والتقرب منها إدراكا منهم لدورها ومكانتها الدولية. وأثناء القمة الروسية الأفريقية بسوتشي حاول فايز السراج الذي تجاهله الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، استمالة الموقف الروسي باعتماد دبلوماسية الصفقات والاستثمار معها في محاولة لتحييدها وإبعادها عن المحور الداعم للجيش الوطني والجنرال خليفة حفتر.

بث الفتنة

الحبيب الأسود

يراوح إخوان ليبيا بين سياسة الاستعداء والتودد لترويض روسيا التي يتهمونها بدعم الجيش بقيادة المشير خليفة حفتر، لكنهم في نفس الوقت لا يقطعون قنوات التواصل السياسية معها محاولين بكل السبل إغراءها لوقف دعمها للجيش أو على الأقل بقائها على الحياد.

رغم أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لم يجتمع به في سوتشي، إلا أن رئيس المجلس الرئاسي الليبي فايز السراج اتجه إلى تنفيذ مخطط جديد للإخوان يتمثل في مغازلة موسكو، واعتماد دبلوماسية الصفقات والاستثمار معها في محاولة لتحييدها وإبعادها عن المحور الداعم للجيش الوطني والجنرال حفتر.

دبلوماسية الصفقات

خلال تواجده في القمة "الروسية-الأفريقية" في سوتشي قال السراج إن مشاركة ليبيا في هذه القمة تؤكد عمق وجدية علاقة طرابلس بموسكو، مشيرا إلى أن حكومته لا تتردد في التعامل مع أي طرف للدفاع عن نفسها وأنه حق مشروع لا يمكن مصادرته، وأنه يوجد اتفاق موسع بين ليبيا وروسيا منذ العام 2008 تعمل حكومته على مراجعته، مضيفا أنه "ستكون أيضا هناك مراجعة للمشروعات المتوقفة وحث الشركات الروسية للعودة للاستثمار في ليبيا".

ومن أجل إثبات حسن نوايا حكومته أعلن السراج عن صفقة تستورد بموجبها بلاده من روسيا مليون طن من إمدادات القمح سنويا، وقال رئيس مجموعة الاتصال الروسية الخاصة بالتسوية الليبية، ليف دينغوف، إنه من المفترض توقيع العقد الذي تبلغ مدته عاما واحدا في غضون شهر على أن يبدأ التوريد مع بداية عام 2020.

ووفقا لبيانات وزارة الزراعة الروسية، فإن روسيا التي تعد أكبر مصدر للقمح في العالم، زودت السوق الليبية بنحو 330 ألفا ومئة طن من القمح الموسم الماضي.

وكان مراقبون من داخل طرابلس قد أوضحوا أن الإخوان بقصر نظرهم السياسي يعتقدون أنه يمكن شراء الموقف الروسي بالصفقات، وأنه لا شيء يهم موسكو في ليبيا غير المصالح الاقتصادية، لذلك دعوا السراج إلى مفاتحة الروس بأن حكومته على استعداد لتطوير تعاونها معهم في كل المجالات، انطلاقا من استعادة الاتفاقيات الممضاة في العام 2008 الذي شهد دفعا للتعاون المشترك بين البلدين.

وفي أبريل 2008 قام فلاديمير بوتين بزيارة رسمية إلى ليبيا شهدت أول لقاء بينه وبين الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، وتم أثناءها توقيع عدد من الوثائق المهمة وبينها البيان حول تعزيز الصداقة وتطوير التعاون ومذكرة التفاهم الخاصة بتطوير التعاون في شتى المجالات الاقتصادية واتفاقية العلاقات التجارية والاقتصادية والمالية، وجاء في البيان حول تعزيز الصداقة وتطوير التعاون أن البلدين ينويان تعميق التعاون في مجال الأمن القومي والدفاع وبصورة خاصة عن طريق إجراء مشاورات بين الهيئتين المختصتين للدولتين وتوطيد الاتصالات في المجال العسكري التقني.

وألغت روسيا ديونا ليبية بقيمة 4.5 مليار دولار (2.8 مليار يورو) تعود إلى الحقبة السوفييتية في مقابل عقود "بالمليارات من الدولارات للشركات الروسية"، وقال الرئيس بوتين إن اتفاق شطب ديون سيؤدي إلى عقود عمل شركات دفاع روسية. وأضاف أن "الصفقة لن تنطوي فقط على عمل لشركات الدفاع الروسية ولكنها ستساعد أيضا في تعزيز دفاعات ليبيا"، لافتا إلى أن الاتفاق يشمل أيضا مشروعات مدنية في مجال البنية التحتية.

كما وقعت شركة خطوط السكك الحديدية الروسية عقدا بقيمة 22 مليار يورو (3.48 مليار دولار) مع ليبيا لمد خط للسكك الحديدية من سرت إلى بنغازي.

وفي 31 أكتوبر عام 2008 أدى القذافي أول زيارة إلى موسكو بعد 20 عاما عن آخر رحلة إلى موسكو، وأدت المباحثات إلى عقد اتفاقية بين الحكومتين الروسية والليبية في مجال استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية. كما تم الاتفاق على إنشاء مصرف مشترك وتم توقيع مذكرات التفاهم الرامية إلى تنشيط العلاقات بين البلدين.

ويعتقد إخوان ليبيا أن إغراء الروس بإحياء تلك الاتفاقيات قد يجعلهم يغيرون مواقفهم السياسية والدبلوماسية ويفتحون مخازن السلاح ليزودوا بها ميليشيات الوفاق، لكن ليف دينغوف كان واضحا عندما قال "هم يريدون بنشاط بناء علاقات تعاون عسكري تقني ونحن نتفهم، مع ذلك، فإنه يوجد حظر على توريد الأسلحة إلى ليبيا ولذلك هذا الأمر صعب الآن".

مصادر الجيش الوطني الليبي تؤكد أن موسكو مدركة لكل تفاصيل الملف الليبي، وهي تعلم جيدا مكر الإخوان الذين يسيطرون على الحكم في طرابلس، كما تعلم أن القوات المسلحة بقيادة المشير خليفة حفتر إنما تقود معركة لتحرير ليبيا من الإرهاب بمختلف مفرداته، وكذلك لديها دراية بأن الحكومة المؤقتة تعتبر واحدة من مكونات محور الاعتدال في المنطقة العربية، وأن البرلمان الليبي هو الذي يمثل الشرعية المنتخبة في ليبيا، وبالتالي فإن أي محاولة من الإخوان والسراج لتغيير الموقف الروسي عبر الوعود المرسلة أو الصفقات والاتفاقيات لن تكون لها أي جدوى.

غضب موسكو

يطرح إخوان ليبيا قضية المرتزقة دون دليل، فيما هم لم يقبضوا على مرتزقة روس ولم يعثروا على جثة واحد منهم، وإنما يكتفون بكيل الاتهامات جزافا في محاولة لإقناع أنصارهم بأنهم مستهدفون من موسكو، وأن مصير ميليشياتهم قد لا يختلف عن مصير نظيراتها في سوريا.

وأثناء تواجده بالقمة الروسية الأفريقية، واجه السراج حرجا كبيرا بسبب اصطحابه القيادي في الجماعة الإسلامية المقاتلة وأحد مهندسي منظومة فجر ليبيا، وهو شعبان هدية المكنى بأبي عبيدة الزاوي، والذي يعد أحد أبرز المرتبطين بتنظيم القاعدة.

وكانت وسائل الإعلام الروسية قد ضجّت قبل أيام من افتتاح القمة بنبأ وجود "إرهابي مطلوب دوليا ضمن الوفد الليبي"، معتبرة ذلك رسالة غير ودية من السراج الذي تقود ميليشياته وحلفاؤه من قوى الإسلام السياسي حملات معادية ضد موسكو بزعم وجود مقاتلين وخبراء روس في صفوف الجيش الوطني بقيادة المشير حفتر.

وعلّق القيادي الإخواني وعضو المؤتمر العام محمود عبدالعزيز الورفلّي على عدم عقد لقاء بين بوتين والسراج، معتبرا الأمر "فضيحة دبلوماسية" ومن العيار الثقيل، ويجب أن تتم فيها إقالة وزير الخارجية والطاقم الذي معه، بينما دعا عدد من قادة الجماعة فايز السراج إلى التصعيد ضد الروس واتخاذ مواقف معادية تجاههم.

ويبدو أن الموقف الروسي لم يكتف بتجاهل بوتين لحضور السراج، ولكن اتجه إلى ما لا يريح سلطات طرابلس، وهو دعوة وزير خارجية الحكومة المؤقتة عبدالهادي الحويج لحضور فعاليات قمة سوتشي، حيث ألقى كلمة في المنتدى، أعلن عبرها استعداد البرلمان والقيادة العامة للجيش لتشكيل حكومة وحدة وطنية وإجراء انتخابات حرة في ليبيا.

حسابات الإخوان

خلال خطابه، أشار إلى أن عاصمة بلاده طرابلس استولت عليها حكومة الوفاق الخاضعة لسلطة الإخوان. وأضاف أن عملية مكافحة الإرهاب من طرف الجيش الوطني الليبي بقيادة حفتر ضرورية لإرساء الوحدة وسيادة القانون في جميع أنحاء الدولة.

وينظر من جهة أخرى إلى حكومة السراج على أنها تسعى جاهدة لتمرير سياسات الإخوان بمحاولاتها المتكررة في الآونة الأخيرة لاستمالة موسكو عبر صفقات تجارية، كان آخرها صفقة المليون طن من القمح.

ويرتكز المتابعون في تحليلهم لخطط الإسلاميين، على تصريحات السراج بشأن العلاقات مع روسيا والتي لاقت المزيد من التكهنات حول مساعي الحكومة الليبية لمغازلة الروس من أجل تحييدهم وإبعادهم عن معسكر الجنرال حفتر.

ويزعم الإخوان في ليبيا أن موسكو تدعم الجيش الوطني الليبي الذي ينفّذ منذ أبريل الماضي عملية طوفان الكرامة لاستعادة طرابلس والمنطقة الغربية من الجماعات الإرهابية والميليشيات الخارجة عن القانون المنضوية تحت حكومة الوفاق.

وينطلق موقف الإخوان المعادي لروسيا من إرث عقائدي وحسابات سياسية معقدة، وتعد تصورات الجماعة بمثابة امتدادات لمواقف التنظيم العالمي للجماعة الذي كان ولا يزال يكنّ العداء لموسكو سواء كعاصمة للاتحاد السوفييتي المنحل أو لروسيا الاتحادية، تنفيذا لأجندات الحرب الباردة.

وانخرطت جماعة الإخوان في الصراع الدولي إلى جانب مخابرات الدول الغربية ليس فقط للعمل على تفكيك الاتحاد السوفييتي بعد إلحاق الهزيمة به في أفغانستان التي كانت للجماعة دور مهم فيها عبر تأسيس البنية الهيكلية للقوى الجهادية التي أفرزت لاحقا ظاهرة الإرهاب المعولم، لكن كذلك من خلال محاولة تفكيك الدولة الروسية عبر الدور الإخواني في حرب الشيشان الأولى ما بين 1994 و1996.

وبعد عام 2011، وبداية ثورات ما يعرف بالربيع العربي، اصطدمت الجماعة بالروس مجددا بعد تدخل موسكو لدعم النظام السوري عسكريا وسياسيا، وتأييدها لثورة يونيو 2013 التي أطاحت بحكم محمد مرسي في مصر، واستقبالها في ثلاث مناسبات القائد العام للجيش الوطني الليبي المشير خليفة حفتر، واعتمادها في مجلس الأمن على قوة الفيتو في مناسبات عدة لعرقلة أي قرارات قد تصب في خدمة المزيد من الفوضى التي يستفيد منها الإخوان قبل غيرهم.

وفي سبتمبر 2015 أعلنت روسيا تدخلها في سوريا، وأشارت تقارير استخباراتية إلى مشاركة الآلاف من المقاتلين الروس في الحرب السورية ليس دفاعا عن الحرية والديمقراطية، ولكن تنفيذا لمشروع التمكين للإسلام السياسي في المنطقة، ضمن مخطط تفكيكي لن يتوقف عند حدود سوريا، وإنما يستهدف البلدان المنطقة برمتها.

ولم يكن إخوان ليبيا بعيدين عما يدور في سوريا، فقد كانوا سبّاقين لمحاولة نقل نموذج ما حصل في بلادهم عام 2011 إلى سوريا، عبر الدفع بالعتاد والأفراد إلى ساحات القتال مرورا بالأراضي التركية التي كانت مفتوحة لهذا الغرض.

وقام إخوان ليبيا بتشكيل وحدات مقاتلة في سوريا من أبرزها لواء الأمة الذي شكله مهدي الحاراتي الذي قاد إحدى كتائب التمرد المسلح ضد نظام معمر القذّافي وهي كتيبة ثوار طرابلس. كما تحولت ليبيا وخاصة في 2012 و2013 إلى أحد أبرز مصادر تجنيد وتدريب وتمويل وتسفير المقاتلين من دول شمال أفريقيا والساحل والصحراء إلى سوريا.

وكانت دراسة إحصائية لمركز "فيريل" للدراسات الألماني صادرة عام 2017 أكدت أن ليبيا ساهمت في الحرب الأهلية السورية بحوالي 10500 مقاتل، قتل منهم 4750 فيما سُجل 1700 ليبي في عداد المفقودين.

حرب العملة

تحولت العملة المطبوعة في روسيا إلى قضية صاخبة في ليبيا، وإلى دافع جديد للصراع المعلن بين الحكومة المؤقتة المنبثقة عن البرلمان، والتي تتخذ من مدينة البيضاء (شرق) مقرا لها، وحكومة الوفاق التابعة للمجلس الرئاسي في طرابلس.

وقال مجلس البحوث والدراسات الشرعية في دار الإفتاء في طرابلس، الذي يتزعمه الصادق الغرياني، المقيم في تركيا، في بيان إن إصدار العملة من جهة غير مخولة (مصرف ليبيا المركزي البيضاء) كان ضارا باقتصاد البلد على نطاق واسع ويعد من الفساد في الأرض.

وزعم المجلس الخاضع لسيطرة جماعة الإخوان وجناحها السياسي حزب العدالة والبناء، أن الجهة التي أصدرت تلك العملة تستعمل الطبعات المزوّرة في تمويل حروبها التي تشنها اليوم على العاصمة طرابلس وتخوضها للاستيلاء على السلطة منذ خمس سنوات.

ووفقا لبيان مجلس البحوث والدراسات الشرعية التابع لدار الإفتاء بطرابلس، دعت حكومة الوفاق والمصرف المركزي طرابلس إلى مخاطبة المؤسسة التي تطبع العملة والحكومة الروسية، وتحميلهما مسؤولية ما وصفته بأنه "تعامل مع الخارجين عن القانون"، ومقاضاة السلطات الروسية. كما دعت إلى ملاحقة مرتكبي هذا العمل.

وردّت الهيئة العامة للأوقاف بالحكومة المؤقتة، التي تحظى بثقة البرلمان، على فتوى نظيرتها في طرابلس، وقالت إنها "اطلعت على ما صدر عمّا يسمى بمجلس البحوث والدراسات الشرعية بدار الإفتاء المنحلة، والذي تضمّن تحريم تداول العملة الصادرة عن المصرف المركزي بالبيضاء، ووصفها بأنها مزورة وصادرة من جهة غير مخولة".

> إخوان ليبيا يعتقدون أن إغراء الروس بإحياء تلك الاتفاقيات قد يجعلهم يغيرون مواقفهم السياسية والدبلوماسية ويفتحون مخازن السلاح ليزودوا بها ميليشيات الوفاق

وأضافت الهيئة أن دار الإفتاء المنحلة تبني قرارها على إهمال وتجاوز للقوانين الصادرة عن الجهة صاحبة الاختصاص وهي مجلس النواب، مشيرة إلى "أن الحرب التي تخوضها قوات الكرامة إنما هي حرب شرعية شريفة تقارع الإرهاب والفساد بجميع صوره وأشكاله".

ووفق ما أكده وزير خارجية الحكومة المؤقتة عبدالهادي الحويج، أرجع المراقبون موقف الهيئة الشرعية التابعة لإخوان ليبيا إلى الوضع الحرج الذي أصبحت عليه الميليشيات المسلحة في غرب البلاد في ظل التقدم المستمر للجيش الوطني الذي بات يسيطر على 95 بالمئة من مساحة البلاد.

وكان مصرف ليبيا المركزي في شرق البلاد لجأ منذ أواسط العام 2016 إلى طباعة العملة في دولة روسيا بعد تحكم محافظ ليبيا المركزي طرابلس الصديق الكبير في إيرادات النفط والأموال الليبية وإيقاف إرسال أي عملة للمدن التي تخضع للحكومة الليبية المؤقتة كعقاب للمواطن الذي يفتقر للسيولة والموارد.

وقالت إدارة مصرف ليبيا المركزي (شرق البلاد) إن "قرار طباعة العملة استكمل كافة الشروط القانونية والفنية التي تنصّ عليها القوانين والتشريعات النافذة في ليبيا"، موضّحة أن مجلس إدارة مصرف ليبيا المركزي في بنغازي "استند إلى القانون رقم 1 لسنة 2005 وتعديلاته بشأن المصارف، والذي يمنح مجلس الإدارة (وليس المحافظ) حق إصدار مثل هذه القرارات".

وأشارت إلى أن المجلس الرئاسي لم يتخذ أي إجراءات بخصوص التجاوزات المالية الخطيرة التي حوتها تقارير ديوان المحاسبة في طرابلس خلال السنوات الماضية.

> الإعلام الروسي وجه رسالة غير ودية لفايز السراج الذي تقود ميليشياته وحلفاؤه من قوى الإسلام السياسي حملات معادية لموسكو بزعم وجود مقاتلين وخبراء روس في صفوف الجيش الوطني بقيادة المشير خليفة حفتر.